## حياة شارع

ذكرنا في الحلقة السابقة عن حياة شارع السعدون، ما تبقى من الباص الانكليزي الأحمر في ساحة النصر. علما أن للعاصمة في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي نحو (١٢٠) خطاً لمختلف أحياء بغداد، وأن قيمة التذكرة في حينها (١٥ فلسا)، أما اليوم وفي ظل الموازنات الانفجارية لا يوجد غير خط واحد يربط باب المعظم مع الباب الشرقي، ولا ندري هل أن خطوط النقل أو المصلحة الحمراء مشمولة بقرار اجتثاث البعث وطبق عليها قانون المساءلة والعدالة، أم أن الموازنة لا تكفي لسد احتياجات السادة المسؤولين لذا امتنعوا عن استيراد تلك الحافلة.

(٢-٢)

جرار كهرمانة لم تسلم من عملية التشويه

# شارع السعدون يباهي الدنيا بكهرمانة محمد غني حكمت

- صالات السينما فيه تلحق بقافلة موت المسارح
- فنادق وصيدليات ومذاخر محاطة بخرائب البتاوين

بغداد/ يوسف المحمداوي
تصوير/ أدهم يوسف

### شارع الأطباء

شارع السعدون كان في البداية يطلق عليه اسم (شارع الأطباء) لتواجد أشهر أطباء بغداد فيه وكذلك الصيدليات القديمة، يقول الصيدلاني احمد عادل الذي يدير صيدلية السعدون إن أقدم صيدليات الشارع هي صيدلية السهل وكذلك صيدلية عبد النور، وتليها بعد ذلك صيدلية السعدون التي افتتحها الدكتورة نهلة باقر صالح عام ١٩٧١، ومع تزايد عدد العيادات والصيدليات لكن بقي لكل عيادة وصيدلية زبائنها الخاصون من مختلف المحافظات.

### محال الساعات السويسرية

واشتهر الشارع أيضا بمحال الساعات السويسرية وكان أشهرها حتى ثمانينيات القرن الماضي محل الحاج ناجي جواد الساعاتي فنجد عنده الماركات الشهيرة والمرتفعة الثمن، مثل الـ(اوميغا) والـ (سور) والـ (فلكا) وغيرها من الماركات المشهورة حينها، ثم جاءت بعده محال الكناني وبغداد والأنوار وغيرها من محال الساعات التي تضاءلت للأسف بعد أن اجتاحت الشارع المذاخر ومحال المستلزمات الطبية.

يقول السيد حسن أبو هادي إن احد أسباب ارتفاع أسعار المحال في الشارع، هم أصحاب محال المستلزمات الطبية وكذلك محال بيع الخمور، التي تستوطن اغلب محال ساحة النصر.

### عمارات صفراء

قامت أمانة بغداد من اجل إلباس بغداد زيا موحدا بصبغ الشارع باللون الأصفر الخفيف وشبابيك بناياته باللون الأخضر مما شوه العمارات والأبنية التي بنيت على طريقة الشناشيل البغدادية المعروفة ببروز شبابيكها الخشبية وهذا ما شوه الشارع بدلا من تجميله.

وحتى جرار نصب كهرمانة صبغت باللون الأخضر الذي لا يتناسب مع الشكل الفني لهذا النصب، لكن ماذا نقول لأعداء الفن غير ما قاله مصطفى جمال الدين في حب بغداد الفاتنة بكل شي:

بغداد ما اشتبكت عليك الأعصرُ
إلا ذوت و وريق عمرك اخضرُ
مرت بك الدنيا وصبحك مشمسٌ
ودجت عليك ووجه ليلك مقمرُ

### مكتبة الطريق

يقول الكاتب علي عبد الأمير عجام في ذكرياته عن الشارع، كانت بداية الشارع مطاعم للاسترخاء الجسدي مثل مطعم (تاجران) ومطعمين صغيرين في شارع فرعي من شوارع البتاوين، أولهما كان يقدم الأكلات الفلسطينية وأبرزها؛ الفول والحمص القدسية واغلب رواده من طلبة الجامعة، أما الثاني كما يقول عجام فكان يقدم الكباب السوري ويؤمه أصحاب المحال التجارية وحرفيو المنطقة القادرون على دفع ثمن الوجبة التي تزيد على الدينار في أواخر سبعينيات القرن الماضي، ويضيف عجام الذي عمل أمين صندوق في مطعم (الرصافة) أو مطعم (ابن ضعيفة) في مناكفة لمطعم (ابن سمينه). كانت في بداية شارع السعدون (مكتبة الطريق) التي شعت أجواء الانفتاح السياسي في سبعينيات القرن الماضي، وكذلك محطة للشيوعيين وأصدقائهم المعروفين بينهم القراء وحب المعرفة، فيما تقابلها من الطرف الآخر مكتبة الصياد التي كان يعمل فيها الصحافي علي حيدر، وكانت مصدرا جيدا للثقافة الأدبية المعاصرة، ولكنها اختفت كشقيقتها مكتبة الطريق.

### "روزا" أول صالون نسائي

وأنت تسير في الشارع باتجاه ساحة النصر التي لا يزال (معرض زهور الرافدين) شاخصاً فيها برغم عقود القحط التي عاشها، ستجد مقابل سينما أطلس مباشرة مطعم وفندق دجلة الخير الذي كان بجواره أقدم صالون نسائي وهو للشقيقة الصغرى للمطربة سليمة مراد والمحل يحمل اسمها روزا، والفندق كما يقول حجي هادي (صاحب محل ملابس) كان أصلا ملكا لرجل يهودي يدعى ناجي كان يبيع بداخله الخمور ووجد ميتا في ستينيات القرن الماضي، وقام الأهالي بدفنه.

المارّ في الشارع يلاحظ حتما نظافته! وهو الشارع الذي سار فيه الملوك والرؤساء والشحاذون واللصوص والتجار، ثمة قنان فارغة وأكياس من القاذورات، بقايا بناء اسمنت، رمال وكونكريت، المصيبة أن أمانة العاصمة سلمت العمل في الشارع وفي حي البتاوين إلى شركة تركية تستأجر معداتها كما قال لي احد أصحاب المحال من الشيخ عمر، فالشارع برمته أصبح عبارة عن حفريات وعملية إصلاحه التي بدأت قبل عام لم تنته إلى الآن ولا اعتقد حتى بعد الآن لأن مشاريع الدمار أجدى من الاعمار في ذهنية بعض المسؤولين للأسف.

### شارع السينمات

شارع السعدون الذي كان ملاذا لأشهر صالات السينما في العراق وليس في بغداد وحسب، وأقدم صالات العرض السينمائي فيه هي سينما السندباد التي كانت تسمى في بدايتها (الاورفلي)، وكانت مقابل جامع الاورفلي الموجود حاليا، وقد بنيت في ستينيات القرن الماضي ثم جاءت بعدها أطلس التي بنيت في منتصف الستينيات من قبل عائلتي البحراني والجادرجي كما يقول احد العاملين فيها ثم تلتهما سينما النصر وسميراميس وكذلك النجوم ثم بابل وآخرها كانت سينما السعدون التي أصبحت بديلا عن ملهى الكروان.

### زمن السينما

تعد سينما النصر من أنظف وأكبر دور العرض السينمائية في بغداد، فالصالة التي شيدت قبل (٥٠) عاما تتسع لحوالي (١٥٠٠) شخص، وتأتي بعدها من ناحية النظافة والاهتمام بالأفلام الحديثة سينما سميراميس، التي قام ببنائها (بيت بنية) بعد أن استأجروا أرضها من الدولة لكونها أراضي يهودية، هي والدور والمحال التي تحيطها، وبنيت السينما على نموذج دار عرض سينمائية في لندن.

لم تعد السينما في السعدون كسابق عهدها فبعضها تحول إلى محال تجارية، والبعض الآخر يعرض أفلامه من الساعة العاشرة صباحا حتى الثانية ظهرا، فالصالات في السعدون حقاً تلتقط أنفاسها الأخيرة، والغريب أن بغداد التي عرض فيها أول فيلم صامت عام ١٩٠٩. تفتقر إلى السينما والمسرح.. فليس فيها غير المسرح الوطني، وأنا في لقاء مع الناقد المصري المعروف جابر عصفور، قال لي العالم الآن يعيش عصر السينما، لأن في السينما تجد جميع روافد الإبداع، ففيها السرد والشعر واللوحة التشكيلية والموسيقى والأغنية، فالسينما أصبحت مادة ضرورية في حياة الشعوب.

### تحريم الموسيقى!

تذكرت كلامه هذا وأنا أجد بعض قادتنا الجدد من يحرم سماع الموسيقى أو مصافحة المرأة وآخرين يفصلون الطالبة عن الطالب ويفرضون الحجاب حتى على المسيحيات في ظل دستور ديمقراطي يؤكد حرية الإنسان في دينه ومذهبه. لم أجد بداً من اردد مع شاعرنا عمر السراي قوله:

يا أيها الوطن الموؤود في فمهم
ولست أنثى.. وما في فمهم رجل
يا واقفا قلب أم في أزقتهم
وظل صوتك مَنّ عينيك ينسدل
وكنت وحدي ألمّ الناس اجمعهم
يا أخوتي وحدوا.. يا هور.. يا جبل
عتبي عليك فوحد... تلك معجزتي
أنا عراق خلت من قبلي الدول
نعم خلت من قبلك الدول الآن وقبل الآن، قبل الآن في فرح سبعينيات القرن الماضي والآن في الوجع الذي نعيشه يا صديقي عمر.

وفي تسعينيات القرن الماضي أصبحت دور السينما ملاذا للمسرح التجاري الذي لوث هيبة المسرح العراقي لسذاجة وتفاهة ما كان يطرحه، وفي هذا الشارع العديد من المسارح مثل مسرح بغداد وكذلك مسرح الـ(٦٠ كرسي) الذي كان ملجئا للفنانين الكبار.

### بنغلاديش في السعدون

تتسابق في الشارع أنواع عديدة من المهن، فتجد هناك محال التسجيلات التي ما زالت تكسر موال الحزن بأغانٍ خفيفة، فبدلا من الاستماع إلى اصواتٍ الكبار مثل عبد الوهاب وأم كلثوم وفيروز وروّاد الفن العراقي من امثال القبنجي والغزالي أو داخل حسن. نجد هناك أغاني الشباب الآن فبدلا من الاطلال او جارة الوادي تسمع الآن (يحبني ويحب عليه) و (وبسبس-ميو).

ولا ندري هل يتغزل بقطة أم فتاة؟.

وفضلا عن محال التسجيلات تجد هناك العديد من محال بيع النظارات الطبية، ومحال الملابس. والأحذية التي تذكرنا بماركات الأحذية باتا وزبلوق، وتفترش الارصفة العديد من بسطيات الباعة بمختلف البضاعات وبأسعار زهيدة اذا ما قورنت بأسعار بيع المحال.

فضلا عن أكشاك محمولة لبيع وتصليح الساعات التي يواظب عليها بعض السودانيين، وقد امتلأت المحال وبالذات المذاخر والفنادق بالشغيلة القادمين من جنوب شرق آسيا وأكثرهم يحملون جنسية بنغلادش، وقد استخدموا لضآلة أجورهم إذا ما قورنت بما يتقاضاه العامل العراقي.

### منطلق للسياحة

بالإضافة إلى ما ذكرنا فالسعدون يشتهر بفنادقه الكبيرة والفخمة ويعد فندق بغداد أقدمها، فالشيراتون والميرديان وكذلك السفير وغيرها من الفنادق التي تتخذ من أسماء صالات السينما أسماءً لها لم تؤسس إلا في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وأين تلتفت تجد هناك العشرات من مكاتب السفر الى الخارج وكذلك الى المحافظات في اقليم كردستان، وللأسف اصبح الشارع الذي لا ينام شأنه شأن شقيقه الرشيد تموت الحياة فيه مع بداية الساعة العاشرة ليلاً ليصبح مقفرا موحشا عكس ما عهدناه في العقود الماضية. نتمنى على المسؤولين أن يولوا عناية خاصة لإعادة الشارع الى حياته السابقة، وبالذات أمانة العاصمة ووزارة النقل التي نطالبها باستيراد حافلات مصلحة نقل الركاب مشابهة للحافلة الحمراء لنشعر بعودة بغدادنا من جديد فضلا عن انها ستساهم في تشغيل الكثير من الشباب الذين أصبحوا ضحية البطالة كسائقين وجباة نتمنى ذلك.. ولكن هل يفعلها المسؤولون؟ لا أظن.

### ساحة كهرمانة

وأنت تترك ساحة الفردوس وجامعها ونادي العلوية الاجتماعي فيها، لا بد أن تمر على أجمل ساحات بغداد.

فإذا كان جواد سليم زيّن ساحة التحرير بنصب الحرية الخالد، فان تلميذه محمد غني حكمت زين شارع السعدون بنصبه الخالد أيضا في ساحة كهرمانة المسماة باسم النصب عام ١٩٦٩، وتعد الساحة من ساحات بغداد الشهيرة. وتم تحديثه فيما بعد، ويتوهم البعض بان النصب يمثل علي بابا والأربعين حرامي لوجود ٤٠ جرة فيه.

فالقصة الحقيقية للنصب أن بطلة هذه الحكاية طفلة ذكية تدعى (قهرمانة) بالقاف وليس بالكاف التي أصحبت شائعة لدى الشارع، وكان والدها يملك خانا يستخدمه كفندق لإيواء المسافرين وكان يملك عربة يضع فيها جرار الزيت ليبيعها صباحا في السوق. وفي ليلة شتائية سمعت كهرمانة أصواتا غريبة فتركت فراشها لترى أناسا غرباء قاموا بالاختباء داخل الجرار وكانت رؤوسهم خارجة من أفواه الجرار لتراقب الشارع، فقامت بإخبار والدها الذي قال لها يجب أن تحدث ضجة حتى نرهب اللصوص، فأخذت كهرمانة زيتا بأحد الأواني لتملأ به الجرار، ولما شارفت الجرار على الامتلاء صرخ اللصوص بأعلى أصواتهم فانتبهت الشرطة وقامت بإلقاء القبض عليهم.

وتعود هذه الحكاية إلى ما قبل العصر الإسلامي، وكان النصب في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي مزارا للسياح الأجانب إذ يلتقطون الصور بجانب النصب، نتمنى بالفعل أن تتحول بغداد جميعها إلى كهرمانة لتصب الزيت على رؤوس الفاسدين والقتلة.

### نادي الشرطة البريطاني

قبل أن ننهي التحقيق في حياة شارع، علينا أن نذكر العديد من الشوارع المهمة فيه كشارع الزعيم الذي يربطه مع شارع النضال، والعديد من الأزقة التي تربطه مع شارع أبي نؤاس، وكذلك كان هناك ناد خاص بالشرطة البريطانية وهو مجاور لمكتب المعلومات الحالي خلف محطة تعبئة السعدون، ولا تفوتنا مكتبة الحكمة التي كانت تبيع الكتب والمجلات الأجنبية وتقع قبالة سينما النصر ويديرها رجل مسيحي.

وأنا أودع حياة شارع السعدون لأبحر مع حياة شارع آخر التفت إليه وأنا اردد ما قاله الماغوط في ديوانه "الفرح ليس مهنتي".

دموعي زرقاء من كثرة ما نظرت إلى السماء
وبكيت دموعي صفراء
من طول ما حلمت بالسنابل الذهبية
وبكيت.. فليذهب القادة إلى الحروب
والعشاق إلى الغابات
والعلماء إلى المختبرات
أما أنا.. فسأبحث عن مسبحة وكرسي عتيق
لأعود كما كنت، حاجبا قديما على باب الحزن
ما دامت كل الكتب والدساتير والأديان
تؤكد أنني لن أموت
إلا جائعا أو سجينا.

مطاعم ومحال ألبسة ومكاتب للسفر

جهود أمانة بغداد واضحة في الشارع!

دور السينما تلفظ أنفاسها الأخيرة

اشتهر الشارع أيضاً بمحال الساعات السويسرية وكان أشهرها محل الحاج ناجي جواد الساعاتي

أول صالات العرض السينمائي في السعدون هي سينما السندباد التي كانت تسمى بالأورفلي

أقدم صالون يعود لشقيقة المطربة سليمة مراد والمسمى بأسمها "روزا"